

التحرير والتنوير

واعلم أن توهم التقرب بتلطيح دماء القرايين وانتفاع المتقرب إليه بتلك الدماء عقيدة وثنية قديمة ربما كانوا يطرحون ما يتقربون به من لحم وطعام فلا يدعون أحدا يأكله . وكان اليونان يشوون لحوم القرايين على النار حتى تصير رمادا ويتوهمون أن رائحة الشواء تسر الآلهة المتقرب إليها بالقرايين . وكان المصريون يلقون الطعام للتماسيح التي في النيل لأنها مقدسة .

وقرأ الجمهور (ينال) و (يناله) بتحتية في أولهما . وقرأه يعقوب بفوقية على مراعاة ما يجوز في ضمير جمع غير العاقل وربما كانوا يقذفون بمزج من اللحم على أنها □ وربما أصابها محتاج وربما لم يتفطن لها فتأكلها السباع أو تفسد .

ويشمل التقوى ذكر اسم □ عليها والتصدق ببعضها على المحتاجين . و (يناله) مشاكله ل (ينال) الأول استعير النيل لتعلق العلم . شبه علم □ تقواهم بوصول الشيء المبعوث إلى □ تشبيها وجهه الحصول في كل وحسنه المشاكلة . و (من) في قوله (منكم) ابتدائية . وهي ترشيح للاستعارة . ولذلك عبر بلفظ (التقوى منكم) دون : تقواكم أو التقوى . مجردا مع كون المعدول عنه أوجز لأن في هذا الإطناب زيادة معنى من البلاغة .

(كذلك سخرها لكم لتكبروا □ على ما هداكم وبشر المحسنين [37]) تكرير لجملة (كذلك سخرناها لكم) . وليبنى عليه التنبيه إلى أن الثناء على □ مسخرها هو رأس الشكر المنبه عليه في الآية السابقة فصار مدلول الجملتين مترادفا فوق التأكيد . فالقول في جملة (كذلك سخرها لكم لتكبروا □) كالقول في أشباهها .

وقوله (على ما هداكم) (على) فيه للاستعلاء المجازي الذي هو بمعنى التمكن . أي لتكبروا □ عند تمكنكم من نحرها . و (ما) موصولة . والعائد محذوف مع جاره . والتقدير : على ما هداكم إليه من الأنعام .

والهداية إليها : هي تشريع في تلك المواقيت لينفع بها الناس ويرتزق سكان الحرم الذين اصطفاهم □ ليكونوا دعاة التوحيد لا يفارقون ذلك المكان . والخطاب للمسلمين . وتغيير الأسلوب تخريج على خلاف مقتضى الظاهر بالإظهار في مقام الإضمار للإشارة إلى أنهم قد اهتموا وعملوا بالاهتداء فأحسنوا .

(إن □ يدافع عن الذين آمنوا إن □ لا يحب كل خوان كفور [38]) استئناف بياني جوابا لسؤال يخطر في نفوس المؤمنين ينشأ من قوله تعالى (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل □)

الآية فإنه توعّد المشركين على صدهم عن سبيل الله والمسجد الحرام بالعذاب الأليم . وبشر المؤمنين المخبّتين والمحسنين بما يتبادر منه ضد وعيد المشركين وذلك ثواب الآخرة . وطال الكلام في ذلك بما تبعه لا جرم تشوّفت نفوس المؤمنين إلى معرفة عاقبة أمرهم في الدنيا . وهل ينتصر لهم من أعدائهم أو يدخر لهم الخير كله إلى الدار الآخرة . فكان المقام خليقا بأن يطمئن الله نفوسهم بأنه كما أعد لهم نعيم الآخرة هو أيضا مدافع عنهم في الدنيا وناصرهم . وحذف مفعول (يدافع) لدلالة المقام .

فالكلام موجه إلى المؤمنين . ولذلك فافتتاحه بحرف التوكيد إما لمجرد تحقيق الخبر وإما لتنزيل غير المتردد لشدة انتظارهم النصر واستبطائهم إياه .

لأجل عنهم الله دفاع وأن الخبر بناء وجه إلى الإيمان من فيه لما بالموصول والتعبير A E إيمانهم .

وقرأ الجمهور لفظ (يدافع) بألف بعد الدال فيفيد قوة الدفع . وقرأه أبو عمرو وابن كثير ويعقوب (يدافع) بدون ألف بعد الدال .

وجملة (أن الله لا يحب كل خوان كفور) تعليل الدفاع بكونه عن الذين آمنوا بأن الله لا يحب الكافرين الخائبين فلذلك يدفع عن المؤمنين لرد أذى الكافرين : ففي هذا إيدان بمفعول (يدافع) المحذوف أي يدافع الكافرين الخائبين .

والخوان : الشديد الخون . والخون كالخيانة : الغدر بالأمانة . والمراد بالخوان الكافر لأن الكفر خيانة لعهد الله الذي أخذه على المخلوقات بأن يوحدوه فجعله في الفطرة وأبلغه الناس على ألسنة الرسل فنبه بذلك ما أودعهم في فطرتهم